

وتحيا ثانية من رمادها. ولئن كانت الأفعال الفردية منقوصة التعميم، فإن سلسلة من الأفعال، المكررة بصورة متماثلة، يسعها أن توصف بعبارات عامة. إذاً يضيف بيرس في ختام الصفحة تماماً، والتي كنا ذكرناها للتو: «ولكن كيف يسعنا وصف عادة إن لم يكن من خلال وصف نوع من الأفعال التي تولدها، مع تخصيص الظروف والحوافز؟» هكذا، فإن الفعل المتكرر الذي يستجيب لعلامة معطاة يصبح بدوره علامة جديدة، ماثولاً لقانون من شأنه أن يؤوّل العلامة الأولى وينشئ مساراً من التأويل جديداً ولا متناهيًا. وفي هذا المعنى، يبدو بيرس أقرب إلى فلسفة موريس السلوكية، إذ يربط هذا الأخير معرفة مدلول علامة بالاستجابة المسلكية التي تنتجها (وهذه الاستجابة، بالنسبة لبيرس، إذ يرى إليها منفردة، هي أحد أشكال التأويل ليس إلأ): إن سمعت صوتاً بلغة مجهولة، وإن تحققت أنه كلما أطلقه متكلم، وردّ مخاطبته بتعبير من غضب، شوغ لي أن استدّل من الاستجابة المسلكية أنّ في الصوت مدلولاً مزعجاً؛ هكذا، يغدو مسلك المخاطب تعبيراً لمدلول الكلمة.

من هذه الرؤية، تنغلق دائرة كلّ آن ولا يسعها أن تنغلق على الاطلاق. وعليه فإن نسق الأنساق السيميائية، الذي يمكنه الظهور على نحو مثالي، هو بمثابة عالم ثقافي منفصل عن الواقع، قد يفضي، بدوره، إلى التأثير في الواقع وتحويله؛ على أن كلّ فعل تحويلي من شأنه أن يتحوّل بدوره إلى علامة وينشئ مساراً سيميائياً جديداً.

٢- ٩- توجهات في سبيل تداولية حول النص

من هذه الوجهة، تبدو عقيدة التعبيرات وثيقة الصلة بمفاهيم أخرى تنسب إلى التداولية، وعلى سبيل المثال ذلك المفهوم حيث يُعلى من شأن ظروف التلفظ دون بنية اللفظ الدلالية، على غرار ما يُعلى من شأن المُناصّة، والمسلمات التي يضعها المتأوّل موضع الفعل، والاشتغال الدلالي في تأويل النص.

فلنقل، بادئ الأمر، وبناءً على حكاية التعبيرات هذه، أن كلّ الحياة اليومية تُمثّل باعتبارها شبكة نصية، حيث تصير الحوافز والافعال، والعبارات المباشرة لغايات تواصلية مفتوحة، بالإضافة إلى الإفعال التي

Enonciation
Enoncé